مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 125) 2024, pp. 819-829

الإحالة في ضوء نظرية الأفضية الذهنية
رواية (الحياة لحظة) انموذجا

عباس فلاح حسن ا.د. ايثار شوقي سعدون
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية
abasfalhhassan@gmail.com
07714355985

مستخلص البحث:
هذا البحث يعرض لظاهرة الإحالة في اللسانيات العرفانية ولاسيما في نظرية الأفضية الذهنية، تلك الإحالة التي اعتمدت على آليات النحو الوظيفي الإجرائية، وقد ارتأيت ان تكون في رواية ذات طابع يقترب من السيرة الذاتية لتكون ارضية للتطبيق، يرجع اولهما الى أن اللسانيات العرفانية تعنى كثيراً بالمرجعيات الذهنية الذاتية السياقات الإجتماعية، والنفسية، والثقافية للمرسل وكيفية تعامله مع كافة أشكال الإحالات. وثانيهما أنّ الرواية فيها من الإحالات الذاتية ما يمكن توظيفها في الدراسة اعتماداً على ما أنتجه النحو الوظيفي وأفاد منه النحو العرفاني.

الكلمات المفتاحية: أفضية ذهنية، الإحالة، انماط الإحالة، البناء ، التعيين

المقدمة:

نجد ان المناهج في الدراسات اللسانية أهتمت كثيراً بالدراسات اللغوية بعدما أبتعدت لفترات طويلة عن دراسة اللغة إلّا انها اعادت الدراسات اللغوية الإنسانية وحاولت ايجاد الشبه والاختلاف بينها واستعملت الآيات التي تمكنها من اثبات ان اللغة تتمثل في الدماغ وتتم معالجتها فيه في وقت واحد. واللسانيات العرفانية هي أحدث التيارات اللسانية التي لها إتصال وثيق بعلم النفس، فهي تنظر الى عمليات العقلية، وبعدها تنظر الى الإدراك على انها تتحكم في اللغة. ونظرية الأفضية الذهنية هي وليدة هذه اللسانيات فهي نظرية نفسية تعنى بالنشاط الذهني الذي يولد البنى اللغوية التصورية وتتمثل هذه النظرية في الكيفية التي نتتبع من خلالها الدلالة وصولاً الى فهم البنية اللغوية. ونظرية الأفضية الذهنية هي احدى نتاجات تلك اللسانيات على اعتبار أنّها نظرية نفسية تعنى بالنشاطات الذهنية المولّدة للبنى اللغوية التصورية لذا وقع الاختيار عليها لتكون مدونة لبحثي لما فيها من طرح لإعادة النظر في بعض المفاهيم النحوية خاصة واللغوية عامة، فضلا عن الإحالة، والكيفية التي يمكن من خلالها تتبع الدلالة وصولاً الى فهم الخطاب، والوقف على العلاقات التي تربط تفاصيل النص بعضها مع بعض، وفهم النسيج اللغوي الذي يعكس التفاعل بين الراوي وبين نصه من جهة وبين المتلقي والسياق من جهة أخرى، كلها أسباب دعتني الى دراسة الموضوع. اما عن سبب اختياري رواية (الحياة لحظة) لتكون متناً لتطبيق النظرية اذ ان الرواية تعرض نضال الراوي السياسي وتشرده في المنفى والشتات والسجن الذي طال كل القوى المعارضة من خلال سيرة ذاتية للراوي الذي يغادر وطنه ويرحل الى موسكو مرورا بالكثير من الدول ومن ثم العودة الى الوطن الذي اصبح بؤرة للارهاب بعد ان انفصل عن زوجته وطفليه في المنفى والأسباب أجملها، بلغة الرواية الأدبية ومفرداتها تمكننا من التعرّف على ثقافة المجتمع وعاداته وإرثه المعرفي وميل الراوي الى الأطناب في وصف الاحداث بمكانها وزمانها وصفاً مفصلاً يعكس ذاتية عالية والأنا متطرفة بما يسهم في خلق فضاءات لغوية بحسب ما ذهب اليه فوكوني وكذلك تطرح الرواية جملة من القضايا السياسية والإجتماعية والدينية

المعبرة عن مرحلة تأريخية مهمة على وفق أطر علائقية مختلفة، ولعل من الأسباب التي جعلت الرواية أكثر المتون صلاحية للتطبيق، هو جانبها الإنساني، وعمق تجربة مؤلفها تلك التجربة التي لمس فيها معاني الموت والحياة، الفرح والحزن، الخير والشر، الاله والشيطان. وفي ذلك كله لا بد أن تستند تلك المشاعر الى (بنية تصورية) تحلل على وفق الافضية ولعلنا نعيش التجربة ذاتها ونحن نفك شفرات حروفها. واعتمدت في البحث على منهج تحليلي قائم على الإنتقاء للشواهد.

المحور الاول: الإحالة في اللسانيات العرفانية :

تعد الإحالة شكلا من أشكال العلاقة اللغوية التي ألّفت في الاستعمال اللغوي العام؛ وفي بعض الاستعارات العرفنية الخاصة. وتقوم على أساس إرجاع المرسل للمتلقي الى شيء او شخص او حدث او واقع صراحة او ضمنا لأغراض يفصح عنها المقام . وفي كل عملية عرفنية درجات من الإحالة مندمجة بمستويات من التركيب يدخل فيها الكثير من المعالجات ذات سمات نازلة مفككة محللة توجهها المفاهيم والتمثيلات وما يرتقب في ضوء ما تحفظه الذاكرة، وسمات صاعدة مركبة مؤلفة توجهها المعطيات وتستند الى المعلومات الصادرة عن المنبهات.[1] اذ تقوم النظرية النحوية العرفنية التي سميت في بدايتها بنظرية (نحو الفضاء) على يد لانقاكر، على التصور في تحليل المعنى، وعدم الفصل بين لإاعراب والدلالة خلافا للنظريات الشكلانية. فالملكة اللغوية مستقرة في المولّدة النفسية العامة، وهي تمثل تطور الأبنية الذهنية واستقرارا لها. لتستوي نظاما لغوياً مخصوصاً أثناء الاكتساب وأثناء توظيفها في التواصل اليومي ذلك أنّ الأبنية اللغوية مرتبطة بنظم معرفية مفتوحة في مجالها ولا متناهية في حدودها. والقيمة الدلالية في عبارة ما لا تعكس المضمون في موقف معين جرى تصوره فقط بل، تتعدى الى بيان أسباب تكون الموقف وبنائه. وهذا ما يسميه لانقاكر (التصوير). والنحو التصوري هو بنى رمزية تخدم المضامين المفهومية وترميزها فعند استعمال بناء على نحو مخصوص مثل الإحالة فإنما يتم انتقاء صورة مخصوصة لإنضاج الموقف الحاصل في الذهن لغايات تواصلية.[2] يرى جاكندوف أنّ الإحالة لا بد أنْ تقوم على قواعد سلامة الدلالة التي يراها ضمن قواعد الإسقاط وهي طبقة من التصورات. وبما أنّ مبادى البنية التصورية تعنى بمختلف الأنساق المعرفية والإدراكية في انسجامها مع الفضاء، فقد عد جاكندوف أنّ التجربة محددةً لمقولات النسق التصوري؛ لأنّ الطريقة التي نرى بها العالم ناتجة عن استعمالنا لوسائلنا الإدراكية والمعرفية؛ وعليه يكون المعنى الذي يحمله النسق اللغوي، هو مجموعة من الآراء والأفكار مرتبطة بنظرتنا الى العالم الحقيقي، على فرض وجود مستوى عقلي لدى الانسان مرتبط سببياً بالجهاز العصبي غير أنه ليس مماثلا له، وظيفته الأساس معالجة المعلومات.[3] بناء على ذلك يكون المعنى الذي تنقله اللغة يتمثل في عبارات البنية التصورية، وموضوع المعنى إحالة العبارات اللغوية ليس الى العالم الحقيقي كما هو الحال في أغلب النظريات اللسانية وإنما الى العالم المسقط، وتكون العبارات الإحالية في اللغة الطبيعية تلك العبارات التي ترسم علاقات التناظر بعبارات من البنية التصورية التي يمكن اسقاطها[4] وترتبط الإحالة بنظرية الأفضية الذهنية بالذاتية القولية التي يراد بها التعبير عن الذات في الاستعمال القولي.[5] فالذات المعبرة تمثل ملكة التفكير تتصرف في القضايا المخزنة في الذهن اعتمادا على الأحكام المستمدة من إدراكه للعالم الخارجي الموضوعي. فالمتكلم هو جزء من البنية التصورية بعدّه منشئاً لها وواضعها، ومن غير الممكن أنْ يعبر عن ذاته خارج هذه البنية او خارج اللغة على أنّه لا يراد هنا باللغة المحتوى القضوي للجمل او الجزء الموسوم منها باللفظ وانما كل ما يتحقق به معنى المتكلم في سياقات قوله المختلفة وبذلك تكون الذاتية القولية المتحققة في عبارات إحالية مثل: الأسماء

والضمائر والتعبير عن مقولات الزمان والمظهر والجهة،[6] هي في كل ذلك تصورية قائمة على ما يسمى المسح الذهني للظواهر والأحداث والوقائع التي يخزنها المرسل ويستعيدها بما يمكن تسميته بالتغذية الراجعة، والمسح نوعان[7] :-

1- مسح تتابعي: وهو مسح تكون فيه الأوضاع المكونة للحدث متسلسلة وآنية اذ يبدأ وضع حيثما ينتهي آخر.

2- مسح مجمل: يكون عندما يعمد المرسل الى بناء الحدث كاملا ذهنيا بشكل تراكمي فيبقى الوضع مثارا حتى انتهاء الحدث كاملا.

وبناء على ما تقدم يرى فوكوني أنّ ظاهرة الإحالة في الخطاب تحال فيها العبارات الى مرجعها إحالة غير معهودة، ولا يمكن تفسيرها بمداخل متعارف عليها، وذلك أنّنا قد نحيل الى أشياء موجودة كما هي في حال الكون و التجربة، وقد نحيل الى ما يمكن أنْ يوجد وما سيوجد وما نظنه او نتصوره او نتصور وجوده، وقد نحيل الى ما نتمناه او نفترضه كائنا، وقد نحيل الى ما نراه رؤية فعلية، وقد نحيل الى ما نتخيله وعما كان وما كان من المفروض أنْ يكون. وإنْ اختلفت هذه المظاهر في طبيعتها بحسب تقسيمات الزمن المفترض في كل منها وبحسب العوالم الممكنة والعوالم المستحيلة وبحسب أحوال القصد وأحوال المعرفة بالأشياء والكون وغيرها من مظاهر الاختلاف، غير أنّها تجتمع في مستوى يكون لها الأدوات نفسها في تكوين الأبنية العرفنية وكل ما يجب فعله هو ايجاد آلية تشتغل فيها هذه الوجوه اشتغالا واحدا من زاوية دلالية و منطقية ونحوية ولغوية.[8]

و نتيجة لذلك أوجد فكوني مبدأً عاما، هو: لكل مفهوم يقتضي في تمثيله فضاءين ذهنيين يكون أحدهما أوليا والآخر تابعٌ له على اساس (التطابق) الذي يتمثل بروابط بين وحدتين في سياقات متباعدة زمانا ومكانا. وتعد الوحدتان متطابقتين او تمثلان الشيء نفسه اعتمادا على الإحالة وبحسب ما اسماه مبدأ (الاهتداء).[9]

وتقوم الإحالة (الإهتداء) عند فوكويني بالقدرة على تسمية الأشياء اعتمادا على ترابطات عرفنية متصلة بالتجربة البشرية التي تمكّن من معرفة المرجع المقصود عوضا عن تسمية الأشياء في ذاتها.[10]

يعرف فوكويني الإحالة (الاهتداء) بـ :-

((يمكن لعبارة تسمي او تصف وحدة معلومة من مجال ما، أن تجري للإحالة على وحدة أخرى من محال آخر، تسمى الوحدة الأولّى (قادحا) وتسمى الثانية (هدفا) وعملية الإحالة (الاهتداء)، والشرط في قيام عملية الإهتداء أنْ يكون المجال الثاني مما يمكن الإهتداء اليه عرفانيا من المجال الأول وأن يكون الترابط بين القادح والهدف يتحقق في اداة او قرينة ظاهرة))[11]

وسمى جاكندوف المجال الأوّل (القادح): العالم الحقيقي، والمحال الثاني (الهدف): العالم المسقط ، فالأوّل بنظرهُ مصدر خارجي والثاني هو عالم التجربة؛ والصور على الرغم من أنّها من ضمن منشئات العالم المسقط، غير أنّها لا تمثل المنشئ الوحيد لهذا العالم مع أنّه ينماز بكونه غنيا؛ لانّه يضم التجربة الإدراكية المباشرة مع جميع النظم التابع لها فضلا عن المكونات التجربة التجريدية و النظرية، على فرض وجود مستوى تنظيمي عند الانسان ينظر عبره الى العالم الخارجي، وهو مستوى ذهني يرتبط بصورة سببية بحالات الجهاز العصبي والادراك، ويخزن المعلومات الموجودة في الذهن مع الإشارة الى أنّ بعض هذه المعلومات موجودة، مرمزة في اللغة،[12]

ترتبط الإحالة عند جاكندوف بمفهوم (الحقيقة) أو (الصدق) و(المرجع) على أساس ما تمتلكه من قدرة واعية فقط للتعامل مع العالم المسقط – أي - العالم كما هو منتظم في اللاوعي، والحديث عن الأشياء لا يكون إلاّ اذا اكتمل تمثيلها العقلي من خلال المناويل التنظيمية، ولهذا فإنّ المعاني والمعلومات التي تقدمها اللغة يجب أن ترتبط بالعالم المسقط، فاذا لم يكن للكيان الواقعي تمثيلا في ذهن المرسل، فإنّه لا وجود له بالنسبة لهذا المرسل او ليس في متناوله، ولا يمكن الاحالة عليه في قول ما. وبذلك يكون للعالم الحقيقي وظيفة غير مباشرة في اللغة لإنّه يصلح مغذيا للمناويل التنظيمية التي تنظم العالم المسقط[13].

فالحقيقة :- ((هي العلاقة بين مجموعة معينة من الجمل الصحيحة والعالم الحقيقي))[14] أمّا الإحالة فهي : ((العلاقة بين التعابير اللغوية والأشياء التي تحيل اليها هذه العبارات)).[15]

والإحالة العرفانية تضم مجالات أربع[16]، هي :-

العالم الحقيقي، والعالم المسقط، والمعلومات الذهنية، والعبارات اللغوية. وتفسير علاقات هذه المجالات بعضها مع بعض يتمثل بالإحالة. ويرتبط المجالان الأوليان بعلاقة السببية على أساس وجود علاقة ذهنية مفروضة فرضا بين حديثين مدركين حسيا، منبثقين من الطبيعة الفطرية للبنية التصورية، فجزء من نقاط الارتباط التلازمي بين المجالين صنف من مدخلات العالم الحقيقي المؤدي الى اسناد السببية وبإحالات أخرى يقوم العالم الحقيقي بوظيفة هامشية، هذا إنْ كانت له وظيفة[17].

وعلى ذلك يكون المعنى الإحالي والعالم المسقّط، هو المعنى الأوّل والأساس للفظ الحاصل في عملية اكتساب اللسان؛ لإنّ معاني الألفاظ هي في دلالتها على ما تحيل اليه يعدّ المعنى تمثيلا للمرجع الموجود في العالم الموضوعي او في أحد العوالم الممكنة مع الأخذ بنظر الإعتبار أنّ إحالة الألفاظ مرتبطة في الغالب بسياق انجازها، وهنا تكمن صلتها بمفهوم الذاتية القولية وحضور ذات المتكلم في القول.[18] وبناء المعنى في الاحالة العرفانية بحسب ما ذهب اليه فوكونيه يتطلب القيام بعمليتين ذهنيتين الأوّلى : بناء الأفضية الذهنية والثانية :انشاء اسقاطات بين هذه الأفضية بالاعتماد على مبدأ (النفاذ) الذي يعد من الأساسيات في تصور فوكوني للأفضية الذهنية .إذ من خصائص هذه الفضاءات النفاذ بين بعضها بعضا، و يمكن أنْ تربط عناصر من فضاء ذهني معين بعناصر من فضاء آخر قد يكون مختلفا عن الأوّل وتنشيط عناصر من كليهما في سياق ما يمكّن من الانتقال بين الفضاءات الذهنية المختلفة، وتعدد الفضاءات المحتملة للقول وقابليتها للنفاذ بينها هو الذي يمكّن من استيعاب الذاتية القولية والتكهن بها في سياقات مختلفة اعتماداً على مبدأ (النفاذ)[19]. اما الأفضية التي يمكن من خلالها بناء المعنى انشاءً وتأويلا بحسب فوكوني فهي: الفضاء الاساس والفضاء البورة والفضاء المنظار، وهذه الأفضية لا تكون بالضرورة متباينة اذ قد يجتمع في فضاء واحد او تتوزع على فضاءين او ثلاثة افضية ويمكن بتقدم الخطاب وعملية بناء المعنى فيه أنْ يتحول الفضاء المنظار او الفضاء البؤرة الى فضاء أساس، يولّد أفضية أخرى يستدعيها السياق النصي او المقامي. مع أنّ الفضاء الأساس هو نقطة البداية التي يبدا منها المعنى وهو الذي يمكن العودة اليه دائما، أمّا الفضاء المنظار فهو الفضاء الذي يمكن من خلاله النفاذ الى أفضية أخرى والفضاء البؤرة هو الفضاء الذي تنتهي اليه عملية بناء المعنى على أساس أنّه الفضاء الذي تتوجه اليه عناية أطراف العملية الخطابية في سياق ما [20]. والرابط لهذه الأفضية هو الإحالة، او بحسب فوكوني فإن الأفضية يتوصل اليها عن طريق (الاهتداء). الذي يمكن تحديد أنماطه بالإفادة مما أنتجه النحو الوظيفي وتنطلق نظرية النحو العرفاني من هدف منشود هو رد اعتبار الأبنية اللغوية الصوتية و الصرفية و الدلالية وعدّها ذات

اعتبار مركزي شأنها شأن البنية النحوية. لذا سعت هذه النظرية الى الحصول على المعنى بالقبض على المستويات الأربع :- المستوى النحوي والمستوى المعجمي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي[21]

وعليه يلتزم النحو في هذه النظرية بأمرين[22]:-

1- الإلتزام بالتعميم: وذلك باستيعاب جميع مظاهر النشاط اللغوي بدراسة اللغة بمستوياتها كافة، وبيان تفاعلها وانشغالها بالمعنى بناء على الأرضية العرفانية العامة وتفاعلها معها.

2- الإلتزام العرفاني: بالسعي الى إقامة حقائق لغوية تتوفق والحقائق العرفانية الثابتة.

وكلا الإلتزامين لا بد فيهما من الاعتماد على (فرضية الاستعمال) التي تتضمن مفهوما يستند الى أنّ النحو عند الفرد إنّما هو تجريد لإستعمالات متعددة في الواقع، فلا مجال للفصل بين المعرفة والاستعمال، إذ إنّ كلاهما وجه للآخر، والعارف باللغة هو العارف بما يكون استعمالها[23]، وهو ما ذهب اليه لسبرير وولسن في نظرية (المناسبة) التي تقوم على فكرة المردود، فالفكر البشري بالنسبة اليهما جهاز موجّه نحو المناسبة ولا يوجد نشاط من نشاطات التواصل لا يتوافر (وهو أضعف الاحتمالات)على احتمال راجحٌ للمناسبة إنْ لم نقل أنّه يشتمل على ضمان المناسبة وهو (اقوى الاحتمالات).[24] وتأسيسا على ما سبق تعد نظرية الأفضية الذهنية واحدة من المقاربات التداولية العرفانية، عد (المناسبة) مقولة نظرية نفسية ذهنية لها امتدادات مفهومية في مجالات التواصل والانثروبولوجيا (علم دراسة الانسان) والبلاغة وعلم النفس المعرفي[25]

وقد افادت هذه النظرية مما انتجه النحو الوظيفي؛ لأنّه الإنموذج اللساني الأكثر توظيفا للكفاية التفسيرية لبنية المكون النحوي تأسيسا على وظيفة اللغة التواصلية[26] ولا سيما أنّ الإحالة بعدها فعلاً تداولياً في كلا النحوين (الوظيفي/العرفاني) يراد بها التمكّين من معرفة العالم الذهني الذي يبنى أثناء الخطاب وتشكيل مرجعية خاصة له[27] وبذلك يتطابق النحو الوظيفي مع النحو العرفاني في كونهما مجموعة من الملكات المعرفية والإدراكية والمنطقية والإجتماعية يتطلبان كفاءة تداولية وكفاءة نفسية، وبذلك يتشاركان في مستويات التحليل اللغوي، وبناء على ذلك في سيعتمد الباحث على تقسيمات فان ديك في بيان أنماط الاحالة الادراكية، الواردة في الرواية، وهي :-

المحور الثاني: أنماط الاحالة في رواية الحياة لحظة:

ان الإحالة نمط من العلاقة اللغوية المقامية، استعملت في بعض المقامات العرفنية، ليتحقق من خلالها إرادة المتكلم او مرسل اللغة بناءً على مقتضاه لا على ما يتطلبه القانون اللغوي، وهي تصنف الى:

أوّلاً : إحالة البناء:

تكون الإحالة إحالة بناء حين يقصد بها حمل المخاطب على تمثيل ذات غير متوافرة لديه[28] أي أنّ المتكلم يحيل المخاطب الى ذات لا يعرفها وغير متوافرة في مخزونه الذهني ويطلب منه أنْ يبنيها ويضيفها الى مخزونه الذهني[29] وبعبارة اخرى فإن المرسل يوجّه ذهن المتلقي الى مجموعة من المعلومات المحال عليها ولم يسبق لها التواجد ضمن المعارف التي يملكها، طالباً منه تصورها ومن ثمّ الاحتفاظ بها كمتصورات ذهنية مخزونة ضمن شبكة معلومات تنظم معارف خاصة. منها ما جاء في أحدى نصوص الرواية **(حدثهم ابراهيم، عن كيفية تعامل البيشمركة مع المعتقلين.. عن ذلك الاذلال المريع لهم بسلوك يشبه سلوك سجانيه في المعتقل:**

رد احدهم: -لكننا نعاملهم بالمثل!

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 125) 2024, pp. 819-829

-وتلك الخطية كبرى!.)[30] يشير مرسل النص الى وجود قوة خارجية فرضت على المعتقلين الكينونة الحالية التي تتمثل عند العرفانيين بـ (خطاطة القوة) وتكمن أهمية هذه الخطاطة في كونها تحكم أي نشاط يمارسه الأفراد ولها القدرة في تجاوز الواقع التجريبي وتصورات الافراد التجريبية، فهي بنية ما قبلية تنطبق على ما هو واقعي وما هو خيالي[31].وتندرج هذه الخطاطة ضمن مستوى انسجام الخطاب، فهي خطاطة البنى الوسطى التي تمكّن من إستنطاق الدلالات من خلال تتبع التطورات الكامنة وراء النص[32] وتترتب على الخطاطة المتحكمة أعلاه خطاطة اخرى ناتجة هي (خطاطة الوجوب) التي بدورها تحيل الى وجود قوة قاهرة تحرك الذات لتقوم بفعل ما.[33] فخطاطة القوة تحيل الى بنى فرعية ذات دلالات متعلقة بها تجري في تجربتنا بشكل ثابت[34].

وهذه القوة يمكن أنْ تكون حسية سلطوية تمثلها قوة (البيشمركة) وقد تكون قوة سياسية كتلك التي فرضت على المرسل وسياق حاله. وبناء على هذه الخطاطة يمكن بناء أفضية ثلاث، الأوّل: منها فضاء أساس موّلد لفضاءات ذهنية متفرعة منه اطلق عليه فوكوني (فضاء الأب)[35] ويمثله الحوار بين طرفي الخطاب، ويتفرع منه فضاء ثانٍ هو فضاء البؤرة متمثلاً في إذلال المعتقلين من البيشمركة التي تمثل القوة الراسمة لخطاطة البنية التصورية برمتها، وعدّ هذا الفضاء فضاء بؤرة لأنّه يبدأ منه بناء المعنى وتوجه اليه عناية العملية التخاطبية له، وهذا الفضاء يمثل منفذاً للانتقال الى فضاء آخر من خلال فضاء المنظار، وهو الفضاء الثالث ويمثل الاعتقال والاذلال الذي تعرض له مرسل النص فالتطابق الحاصل بين اعتقال البيشمركة وأذلالهم للمعتقلين وسلوك السجان في المعتقل يمثلان الشيء نفسه على الرغم من أنّ هاتين الوحدتين متباعدتان زمانيا ومكانيا. وقد بنيت الأفضية الثلاث بمخصصي فعليين إحاليين لهما صفات نوعية واحدة، وهذان المخصصان، هما: البيشمركة، ابراهيم. وكلاهما اسم علم يحيل الى ذات مقصودة بعينها دون غيرها. وتمثلت إحالة البناء بالمخصص الإحالي (البيشمركة)، لأنها أحالت المخاطب الى تمثيل ذات غير متوافرة لديه الاّ في مخزونه الذهني. وقد اضيفت اليها (ال) التعريف على الرغم من انها اسم جنس لا يحتاج الى تعريف، غير أنها كفعل مخصص إحالي عُرّفت لإعتقاد المرسل أنّ المعنى متوافر لدى المتلقي، وهي إحالة مطلقة غير مقيدة وبذلك يكون المخصص الإحالي جمع ثنائية (المعرّف/ المطلق) وهي التي اطلق عليها فان ديك (إحالة الموضعة) التي تحدد موقع المحال اليه بالنظر الى المركز الإشاري الذي يشمل: المرسل والمتلقي ومكان الخطاب وزمانه.[36] ومثله ما نجده في نص آخر من الرواية **(أقل من شهر انفتح له عالم عجيب، كان يفور في الخارج.. بينما يقبع هو في زاوية منسية مملة معتمة تثقل زمنه القصير بتفاصيل شديدة التفاهة، لعب دور الزوج الوفي وهو الاب الصالح وتقديم الحياة في مواعيد محسوبة الاكل والنوم)**[37]في هذا النص استعمل مفهوم المكان المتمثل بشقة موسكو في بناء مفهوم الزمن وبذلك يبنى الزمن (المجال/ الهدف)- (شقة موسكو/ المرسل) عبر تصويره بعلاقات مأخوذة من مجال المكان (المجال/ المصدر) – (موسكو/ الان) اذ يكون الحدث متجليا في زمن ضيق متسع ليشمل بعض الماضي وشيئا من المستقبل نسبة الى اللحظة التي فيها المرسل[38]، (فالآن) التي يرمز لها الفعل (يقبع) بصيغة المضارع الدالة على الحال تمثل الفضاء الأوّل الواقعي الذي يفصل بين الفضاء الثاني وهو الزمن الماضي المستمر حتى يتعدى حدود (الآن) المتمثل بحقيقة كونه زوجاً وأبا، وبين الفضاء الثالث وهو الزمن المقبل او الآتي الذي دل عليه بـ (عالم عجيب) متخذا منه فسحة مكانية متسعة وخالية معبرا عنه بالفعل (انفتح) . وتلك الأفضية الثلاث تلتقي بفضاء رابع تحيل اليه مبهمات النص التي تستمد دلالتها من المتغيرات المقامية، فضمائر الغيبة المستترة والظاهرة تحيل برمتها الى

(الهدف) وهو المرسل. فضلا عن ذلك فإن الأفعال المستعملة في بناء الأفضية لا تحيل الى الزمن فحسب وإنما تحيل الى (الجهة) التي هي مفهوم منطقي ونفسي وادراكي ولساني وبلاغي ودلالي، وهي تقنية اجرائية تطبيقية، تعنى بدلالة الحدث وحدوده الزمنية معجميا[39] و دلالة الشروع في قوله: (انفتح) و الحركة في قوله: (يفور)، و السكون في قوله (يقبع) و الاستمرار في قوله: (تثقل) و التكرار في قوله: (تقديم). فالأفعال في النص تحيل الى دلالة الفعل الزمنية التي تعد مقولة اشارية توضح وقت الحدث بالإشارة الى الوقت الحالي او الماضي او المستقبل، وربطه بزمن المرسل وهو ما يسمى عند اللسانين بالإحالة الى الزمان الخارجي للحدث[40]. وتحيل ايضاً الى الجهة او الزمن الداخلي للحدث فهي صنف ذاتي غير اشاري لا تحيل الى خارج السياق اللغوي ولا تربط زمن الحدث بزمن المرسل، لكنها تنظر الى زمن الحدث من الداخل-أي- تنظر الى الوقت الذي يستغرقه الحدث لكي ينقضي او الى الكيفية التي يحصل فيها ضمن مسار الزمن والكمية الزمنية التي استغرقها الحدث (قصيرة/ طويلة)[41] وهنا الكمية الزمنية تحددت بـ (أقل من شهر). أمّا الكيفية التي حصل فيها الحدث فهي ثابتة متمثلة في قوله: (يقبع). والإطار الذي تقوم عليه الأفضية المذكورة آنفا هو (رب البيت) الذي تمثله التراكيب: (الزوج الوفي، الاب الصالح) المعيل: (تقديم الحياة)، وهي مفاهيم منتظمة ومحفوظة في النظام المعرفي، وهي تمثيلات صورية ذات مظهر نحوي متصل بدلالة الوحدات المعجمية، التي تعطي للاطار قيمته، بحسب ما ذهب اليه فيلمور أنّ اي حدث لابد في وصفه من التعرف الى العناصر المكونة له والى الكيفية التي توجه فيها تراكيب نحوية محددة الضوء الى الحدث ذاته،[42] اذ استعمل النعوت الدالة على أطار الحدث والمحيلة الى الأفضية. ويقوم النص برمته على مخصصين لفعلين إحاليين هما: (عالم عجيب) و(زاوية منسية). وكلاهما يدخل في باب مقولات (الاسم المشترك) بصيغة التنكير لأنّ العلاقة الحاكمة بين المرسل وبين المحال اليه هي علاقة الإبهام والجهل بحسب المركز الإشاري المتحكم بالموقف، ويمكن الوصول اليه مقامياً. ومن جهة أخرى فإن الفعليين الإحاليين يوصف كل منهما بأنه: حملي (منكر/ مقيد)، والقيد بوصف: (منسية)، (عجيب) والمخصص الإحالي يعود على الفعل الإحالي كاملاً:

الاسم المشترك/ القيد
عالم / عجيب
زاوية / منسية

فالأسماء المشتركة وإن كانت مقيدة او غير مقيدة تعد افعالاً إحالية واحدة.

ثانيا : إحالة التعيين:

يستعمل المتكلم لفظاً او تركيباً للتمكين من تعيين المحال اليه للفظ او التركيب المتوافر في مخزون المخاطب[43]، فالإحالة يكون المقصود بها حمل المخاطب على التعرف على ذات يتضمنها مخزونه الذهني، فالمتكلم وهو يؤسس لهذا النوع من الإحالة ينطلق من معارف مسبقة في ذهن المتلقي[44] وتمثل المعارف العامة نحو ما جاء في احد نصوص الرواية (**فاء الى جميلة وهي تسأله:**

-وين صار جاي الحمار، هنا بموسكو لو وصل للسويد

اجابها ساخرا:

-لا هذا ولا ذلك صعد الى السماء.)[45] في هذا النص بنيت الأفضية الذهنية على أساس ملفوظ استعاري شكل البنية التصورية للحدث وهذا الملفوظ يحيل الى شيء يتضمنه نص الخطاب مجملاً ومعروفاً لدى أطراف الخطاب مسبقا بحسب معايير: الترتيب في الحدث وارتباط الملفوظ الاستعاري

بشخص او حدث ما ومن ثم انتاج كيان ما. – بمعنى- أنّ الملفوظ الاستعاري يقول شيئا عن شيء وهنا تحدث الإحالة عندما يبطل ذلك الملفوظ الواقع اللفظي[46]. ويعد هذا النص حديثاً نموذجاً يتضمن شخصين مهد أحداهما للحديث ومن ثمّ أخذ الثاني دوره في الكلام مع المحافظة على النسق الحواري الذي يتطلب تعاوناً بين الطرفين، لإحداث التفاعل والتواصل من العملية الخطابية، وبذلك تحققت كل أبعاد البنية التي قام عليها الحديث[47]؛ وهي:

1- الأطراف: والمراد فيها طرفا عملية الخطاب والحديث المتمثل في النص بـ : جميلة وصديقها.

2- المقاطع: ويقصد بالمقطع هو النشاط الكلامي الذي يقوم به أطراف العملية الخطابية، فكل طرف يسمى حديثه مقطعاً.

3- الأطوار: يقصد بها ممهدات الكلام وذروته ومن ثمّ خاتمة، والذروة تشكل مركزية العملية الخطابية.

4- التعاقب الخطي: ويقصد به أن تنتظم العملية الخطابية في أدوار تعاقبية لكل طرف منها -أي- تناوب المتخاطبين في الكلام ضمن تعاقب خطي لا يسمح بالتداخلات او الإستمرارية لأحد الطرفين. -

الترابط السببي: -أي- أن يكون نهاية الخطاب الأوّل مسوغاً لبداية الخطاب الثاني؛ لذلك نجد أنّ النص بني على سؤال وجواب.

6- الغاية: ليس بالضرورة انْ تكون غاية الخطاب غاية سامية، اذ يكفي أنْ تؤدي الى الحفاظ على التواصل اللغوي عن طريق تحقيق آليات التعاون التي نص عليها غرايس، وهذا هو المتوافر في النص المذكور آنفاً فليس الهدف منه إلاّ علاقة تواصلية.

وعليه يمكن رسم ثلاثة أفضية، الفضاء الأوّل: هو فضاء اللقاء بين طرفي الخطاب(السائل والمسؤول) وهو الفضاء الاب المولّد للأفضية الاخرى، والفضاء الثاني: هو فضاء يتواجد فيه شخص ذهنيا عند كلا الطرفين غير حاضر واقعيا، موجود ومحدد ببقعة زمنية ماضية لكليهما. وهذا الفضاء هو الفضاء القادح الذي يحيل الى الفضاء الثالث، فضاء الهدف وهو فضاء التطابق الذي تتواجد فيه وحدتان مترابطتان في سياقات زمنية ومكانية متباعدة على الرغم من أنهما تمثلان الشيء ذاته. وهاتان الوحدتان تمثلان الشخص المحال اليه بالملفوظ الاستعاري: (جاري الحمار)، فالسائل عنه يذكره ويعرفه منذ زمن بعيد ومكان مختلف، ثم يسأل عنه في بعدين زمني ومكاني آخرين، على أساس التطابق بين الشخص في سياقين، تبدلت فيهما ظروفه وربما شكله مع الاحتفاظ ببعض ملامح الشخص في كليهما. والرابط في ذلك كله الملفوظ الاستعاري: (جاري الحمار)، الذي يعد من المجاز اللغوي المرسل اطلق فيه المرسل السبب وأراد المسبب، والعلاقة بينهما تحكمها التجربة الذاتية لطرفي الخطاب. والأفضية الذهنية أُحيل بعضها الى بعض بأستعمال نوعين من المخصصات الإحالية، الأوّل: مخصص الفعل الإحالي اسم علم (جميلة)، والثاني: مخصص الفعل الإحالي اسم مشترك (جاري الحمار). المخصص الأوّل يحيل الى ذات معروفه بحسب المركز الإشاري اما المخصص الإحالي الثاني فهو اسم مشترك من باب الوصف المقيد بحسب ما ذهب اليه النحويون الوظيفيون من أنّ هذا النوع من المركبات في مستوى البنية التحتية العلائقية، وكل عنصر من عناصر المركب هو فعل إحالي قائم بذاته، فـ (جاري) يحيل الى حقيقة واقعة و(الحمار) يحيل الى بنية استعارية مسقطة، وكلا الفعلين الإحاليين يقعان داخل بنية إحالية واحدة، هي: (جاري الحمار) وبذلك لابد من تعميم المخصص بالفعل الإحالي الكلّي، لإنّ المخصص هو المراد او المقصود بمجموع كلا الفعليين لا في كل منهما على انفراد على اعتبار المقام. ومن الأمثلة الأخرى ما جاء في الرواية من

قوله ((**علق حازم وجرع رشفة من الزجاجة الكبية التي يملأونها بالبيرة كلما نفذت من الكشك القريب، حيث يتكفل ابراهيم كالعادة بضرب الصف الطويل بكل جرأة.**
-من ينكر ايام النضال، احنا نجينا من الموت صدفة.. صح ..لو.. لا.. فلا تحكي عن النضال والكفاح .. و الشهداء))[48] في هذا النص استعمل مفهوم الزمان المتمثل بـ (أيام النضال) في بناء مفهوم المكان وبذلك ينبني مفهوم المكان من (المجال/ الهدف)- (ايام النضال/ المرسل) من خلال تصوره بعلاقات مأخوذة من مجال الزمان (المجال/ المصدر) – (ايام النضال/ الماضي) او أنّ الحدث تجلى في مكان ضيق و معروف لدى اطراف الخطاب. وإنّ هذه النقطة الزمانية يمكنها أنْ تتسع وتشمل مكاناً محدداً بتفاصيل معينة[49] تتزاحم فيها الصور الاستدعائية المتمثلة في النضال والنجاة من الموت. وبذلك يمكن رسم ثلاثة أفضية، يكون الأوّل منها فضاء ماضٍ هو فضاء الصور الاستدعائية بـ(ايام النضال، الكفاح ، الشهداء) التي شكلت النفاذ الى الفضاء الثاني وهو فضاء النجاة من الموت، وبمعية الفضائين يتشكل فضاء ثالث واقعي متمثل بحديث مرسل النص وهو فضاء البؤرة الذي يبدا منه بناء المعنى وتوجه اليه عناية العملية التخاطبية ، فالفضاء الأوّل والثاني هما فضاءان غير موجودين بالنسبة الى الوقت الحاضر (الآن) وكذلك يعد الفعل (ينكر) المركب الفعلي الذي أُعتمد عليه في توجيه دلالة النص كاملا، ذلك أنّ الفعل في النحو العرفاني تتجاذبه أدلة ثلاث، دلالة الزمن التي ذكرت آنفا، ودلالة الجهة (الكيفية) التي حدث فيها الفعل يمثله ما جاء في النص: (من ينكر أيام النضال) وهي دلالة الإستبعاد بقرينة مجيء النص ضمن سياق الإستفهام الإستنكاري –بمعنى- أنّ الشيء المستفهم عنه بعيد المعنى، أمّا دلالة الحدث فهي (النجاة)[50]. وتبنى الأفضية الذهنية بفعلين إحاليين هما: الفعل الإحالي الأوّل اسم علم (حازم، ابراهيم) وهذان المخصصان الإحاليان يحيلان الى ذاتين يقصدهما المرسل بعينهما، أمّا الفعل الإحالي الثاني فهو اسم مشترك (الصف الطويل، أيام النضال، الكفاح، الشهداء) فـ (الصف الطويل) يمثل مركب اسمي معرّف قيد بالوصف والمخصص الإحالي هو الطابور الكبير من الناس المنتظرين والذي نستدل عليه من السياق اللغوي، اما (ايام النضال) فهو مركب اضافي مكون من فعلين إحاليين هما: (أيام ونضال) والمراد هو فعل إحالي واحد اي ان الفعل الإحالي يأخذ مخصص احالي واحد يشمله كله لذلك وجب تعميم المخصص، والمخصص الإحالي هو النضال المسلح الذي قام به طرفا الخطاب في جبال كردستان، الذي نستدل عليه مقامياً، ويمثل (إحالة التعيين) وايضاً (الكفاح، الشهداء) هما من الأسماء المشتركة المعرفة وعرفت لإعتقاد المرسل ان المعنى متوافر لدى المتلقي وسمة التعريف سمة تداولية تحددها العلاقة بين المخاطب والمحال عليه وفقاً للمركز الإشاري[51].

الخاتمة:

أنّ إحالة التعيين اعتمد منها على الإستعارات الأولية مسمى جوزيف غراي، سواء كانت إستعارات تصورية او إستعارات وضعية؛ لأنها مرتبطة بالتجربة الحسية للمرسل ومن ثم أقامت عليها أحكامه الذاتية[52] ويحتل الضمير المساحة الأكبر في تشكيل هذا النوع من الإحالة بأصنافها المختلفة، لخلق فضاءات من الترقب لما هو آتٍ، ولاسيما عند مجيء الضمائر بطريقة تبادلية، لا سيما أن الضمير لا يستقل بالمعنى مطلقاً وإنما يؤدي وظيفته بحضور المرجع،[53] ويشترك مع الضمير الفعل الإحالي المقيد في تكوين الإحالة، وهو ما يتجلى في أهمية القيد سواء كان قيداً بالإضافة او قيداً بالوصف بإفادة دلالة مخصوصة، وقطع الطريق على تأويل توجيهات دلالية قد تفترض في حال غياب ذلك القيد تبعاً لتغير السياقات اللغوية. وبصورة عامة تعد الأفضية الذهنية نظرية تستند الى الوظيفة الإحالية،

بصورة تسمح لها بعقد علاقة بين الأشياء وقد تكون هذه العلاقة سببية او نتيجة او مؤثر او متأثر مع الأخذ بنظر الإعتبار بأن منظور نظرية الأفضية الذهنية قائم على أن كل شيء له صورتان صورة واقعية وأخرى متخيلة.

الهامش

1- ينظر نظريات لسانية عرفنية : 27
2- ينظر نظريات لسانية عرفنية :97-99
3- ينطر التمثيل الدلالي للجملة – منوال جاكندوف 1983 : 81-82
4- ينظر علم الدلالة والعرفانية :97
5- ينظر الذاتية القولية بين الفضاء الذهني والمحل النحوي :97
6- ينظر المصدر نفسه :98
7- نظريات لسانية عرفنية : 125-126
8- ينظر نظريات لسانية عرفنية :198
9- ينظر المصدر نفسه: 207
10- ينظر نظريات لسانية عرفنية :205
11- ينظر المصدر نفسه :206
12- ينظر التمثيل الدلالي للجملة – منوال جاكندوف 1982 - : 89
13- ينظر التمثيل الدلالي للجملة – منوال جاكندوف - :90
14- المصدر نفسه :91
15- المصدر نفسه 90
16- ينظر علم الدلالة والعرفانية :90
17- ينظر علم الدلالة والعرفانية :98
18- ينظر الذاتية القولية في الفضاء الذهني والمحل النحوي :98
19 - ينظر الذاتية القولية في الفضاء الذهني والمحل النحوي : 103
20- ينظر المصدر نفسه :104
21- ينظر نظرية النحو العرفاني مستوى الثالوث من الأبنية ذات التكوين الجيد :77
22- ينظر نظريات لسانية عرفنية :31
23- المصدر نفسه :31
24- ينظر التداولية العرفانية قبل التداولية :58
25- ينظر التداولية العرفانية قبل التداولية :58 – 59
26- ينظر مدخل ابستمولوجي الى تعليمية النظام الاعرابي في اللغة العربية :172
27- المصدر نفسه:174
28- الخطاب وخصائص اللغة العربية:78
29- ينظر بنية الخطاب من الجملة الى النص: 139
30- الرواية 137
31- ينظر دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني: 112
32-ينظر البنية والمعنى في الخطاب الصوفي:182

33-- ينظر دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني: 113
34- ينظر مسارات المعرفة والدلالة:128
35-ينظر الافضية الذهنية والسيميوزيس او التأويل اللامتناهي: 169
36- ينظر الخطاب وخصائص اللغة : 80
37- الرواية: 131
38- ينظر الزمن في العربية من التعبير اللغوي الى التمثيل الذهني دراسة لسانية ادراكية : 28
39- ينظر دلالة الفعل على الزمن والجهة في اللغة العربية دراسة لسانية نقدية لنماذج مختارة من القرآن الكريم: 305
40- المصدر نفسه : 305
41- دلالة الفعل على الزمن والجهة في اللغة العربية دراسة لسانية نقدية لنماذج مختارة من القرآن الكريم: 305
42- ينظر نظرية الاطر في تحليل الحطاب القرآن يسورة الكهف نموذجا: 13
43-ينظر بنية الخطاب من الجملة الى النص: 140 و142
44- ينظر الظاهرة الإحالية في تخاطبية النحو الوظيفي من منظور احمد متوكل وخيارته الاستراتيجية انموذجا: 740
45- الرواية :190
46- ينظر الاستعارة الحية: 352
47- الرواية:85
48- ينظر الزمن في العربية من التعبير اللغوي الى التمثيل الذهني دراسة لسانية ادراكية: 28
49- ينظر دلالة الفعل على الزمن والجهة في اللغة العربية دراسة لسانية نقدية لنماذج مختارة من القرآن الكريم: 304
50- ينظر الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط: 91 وما بعدها
51- ينظر الاستعارات التي نحيا بها: 95و96
52- ينظر الفلسفة في الجسد: 25
53- ينظر مناورات شعرية:16

This research presents the phenomenon of referral in cognitive linguistics. especially in the mental space theory , that referral relied on mechanisms of procedural function grammar. I thought it would be in a novel with a nature approaching the curriculum vitae to be grounded for application, the first is due to the fact that cognitive linguistics pay more attention to the mental references, social, psychological, and cultural contexts of the sender and how to deal with all forms of referrals. Second is that the novel contains many self-references that can be used as in the study was based on what functional grammar produced and benefited from cognitive grammar